﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠﴾ [طه: 90]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الدَّلائلُ العقليَّةُ تُؤكَّدُ بالدَّلائلِ النَّقليَّةِ

بعد أن أنكر القرآنُ فعلَهم بعبادةِ ما لا يردُّ لهم جوابًا، ولا ينفعُهم، ولا يضرُّهم؛ "بيَّن سبحانه موقفَ هارون عليه السلام من هؤلاء الجاهلين الذين عبدوا العجلَ"[1]، ومنَ المناسبة أنَّه لمّا ذكرَ الدَّليلَ العقليَّ الدّالَّ على ظهور عجزِ العجلِ عن نفعهم وضرِّهم؛ لينفي عنه صفةَ الإلهيَّة؛ أتْبَعَهُ بذكر الأدلَّةِ النَّقليَّةِ والوعظ، فأكَّد تبليغَ هارونَ عليه السلام لهم ووعظَهم، وتذكيرَهم باللّه تعالى الرَّحيمِ بهم، فالآيةُ مِن تمام ما قبْلَها في نور هذا، ومِنَ الملاطفة بالمدعوّين والملاينةِ معهم ترتيبُ هذيْنِ الدّليليْنِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فُتِنتُم﴾: (فتن) أصْلٌ يَدُلُّ على ابْتِلاءٍ واخْتِبارٍ[2]، وأصلُها مأْخوذ مِنْ قَوْلِكَ: فتَنْتُ الفضَّةَ والذَّهَبَ؛ إذا أذبتُهما بالنّارِ؛ لِتُمَيِّزَ الرَّديءَ مِنَ الجيِّدِ[3]، وجُعِلَتِ الفتنةُ كالبلاء في أنَّهما يُستعملان فيما يُدفع إليه الإنسانُ من شدَّةٍ ورخاءٍ، وهما في الشِّدَّة أظهرُ معنًى وأكثرُ استعمالًا[4]، والمرادُ به في الآية الكريمة الابتلاءُ، أي: ابتُليتُم به[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دعـوةُ الضّالّين وتـذكـيرُهـم بتوحيد الرَّحمن

يُخبر النَّظمُ الكريم مؤكِّدًا بالقسمِ أنَّ هارونَ عليه السلام قال للذين

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 140.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتن).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فتن).
(4) الرّاغب، المفردات: (فتن).
(5) الواحدي، البسيط: 14/ 502.

ضلّوا من بني إسرائيلَ من قبل أن يرجعَ موسى إليهم واعظًا لهم ومستعطفًا: "يا قوم إنَّما اختُبرتم بهذا العجلِ؛ ليظهرَ المؤمنُ منكم منَ الكافر، وإنَّ ربَّكم الرَّحمنُ لا غيرُه، فاتَّبعوني فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، وأطيعوا أمري في اتِّباع شرعِه"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ افتتاح الجملةِ بالواو:

حشدُ الأدلَّةِ السَّمعيَّةِ والعقليَّةِ على بُطلانِ الوثنيَّةِ

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ معطوفةٌ على الجملةِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[2]، فجمعَ بين الإنكارِ عليهم برؤيتهم له عاجزًا، وبين وعظِ هارونَ لهم، فجمع بين الدَّليل العقليِّ والدَّليل السَّمعيِّ، وأجاز أئمَّةُ التَّفسير أن تكون الواو حاليَّةً، فتكون الجملةُ حالًا من فاعل ﴿يَرَوْنَ﴾ مقرِّرةً لجهة الإشكال ومؤكِّدةً للإنكار، أي: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾، والحالُ أنَّ هارون قد نبَّههم، ووعظَهم، فكيف لا يرون أنَّ العجل لا يستحقُّ الإلهيّةَ، وقد ذكَّرهم بأنَّه فتنةٌ فتنَهم بها السّامريُّ، وأرشدهم إلى إلههم الحقِّ[3]، فتمَّ لهم منَ الدَّلائل ما يُحتِّم عليهم اتِّباعَ سبيلِ التَّوحيد، ولكنَّهم أصرّوا، واستكبروا.

دلالةُ التّوكيد باللّام وقد:

براءةُ هارونَ بتأكيد وقوعِ وعظه ودعوتِه للتَّوحيد

جمع النَّظمُ الجليلُ بين (لام القسم)، وحرفِ التَّحقيق (قد) الدّاخلِ على الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ تأكيدًا لمضمونِ الكلام[4]، وتأكيدُ الخبر يحقِّقُ سماعَهم موعظةَ هارون، وأنَّه قد وفّى بعهده لموسى ﷺ، كما

(1) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 318.
(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 10/ 229.
(3) الطّيبي، فتوح الغيب: 10/ 229، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 289 - 290.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 409.

أنَّ التَّأكيدَ هنا يفيدُ "إبطالَ ما في كتاب اليهود من أنَّ هارونَ هو الذي صنعَ لهم العجلَ، وأنَّه لم يُنكر عليهم عبادتَه"[1]، وفي هذا التّأكيدِ تودُّدٌ إليهم، وإقامةٌ للحجَّة عليهم، فهو تعنيفٌ في ملاطفةٍ، وتقريبٌ في تأديبٍ قاسٍ.

معنَى اللّام في ﴿لَهُمْ﴾:

الدّافعُ للصَّدعِ بالدَّعوة ضدَّ عبادةِ الوثَن مقصودٌ بها الضّالّون

علَّق النَّظمُ الجليل فعلَ القول بشبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ علَّةَ ذلك القول أنَّها كانت لأجلِهم، كما يشيرُ إلى وصول القولِ إليهم، فقد قاله بمحضرٍ منهم، وهم يسمعونَه، وفي ذلك تأكيدٌ على تبليغهم بالموعظة والإرشاد، وفيها معنى النّفعِ، أي: إنَّه قال لهم قولًا ينفعُهم، وهي نحوُ اللام في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، وهذا يعني حرصَه عليهم هدايةً ونجاةً.

نُكتةُ تقديم شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

إنَّما سيقَ القولُ لأجلِ القومِ فتقديمُ ذكرِهم أبلغُ في الاهتمام

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على مقول القول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾؛ لأنَّ مقولَ القول طويلٌ، فتقديمُ ما حقُّه التَّأخير أبلغُ في هذا المقام؛ وذلك حتّى لا يقعَ شيءٌ منَ التّفكُّك في الكلام، ووقوع اللَّبس، كما أنَّ في تقديم شبه الجملة المتضمِّنةِ الضَّميرَ العائدَ على القوم اهتمامًا بهم؛ لأنَّ القول إنَّما سيق لأجلِهم إنباءً بعظيم حرصِه على هدايتهم ونجاتِهم مِنَ العقاب الدّنيويّ والأخرويّ، فهو يُقْبِلُ عليهم إقبالًا عظيمًا؛ بدليل إضافتِهم إليه في قوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾:

بدءُ موعظةِ هارون دون ترثٍّ لعودةِ موسى

أدخل النَّظمُ الجليلُ حرفَ الجرِّ ﴿مِن﴾ قبلَ ظرفِ الزَّمان ﴿قَبْلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 290.

بِهِۦ﴾، ويجوزُ أن تكون دالَّةً على التَّبعيض، أي: "ولمّا كان قولُهم في بعض ذلك الزَّمان، قال: ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي: من قبل رجوعِ موسى"[1]، ويجوزُ أن تكون ابتدائيَّةً، أي: ابتدأ قولَه لهم ذلك في زمانٍ كائنٍ قبل بدء موسى بعودتِه، وذلك للدَّلالة على أنَّ هارون لم يتوانَ في إبداء النُّصح لهم ووعْظِهم، وأنَّه لم يتكاسل عن ذلك بأن ينتظرَ عودةَ موسى أوِ اقترابَ أجل عودتِه، ثم يشرعُ في النُّصح، بل كان مبادرًا وغيرَ مُنتظر لعودةِ موسى.

فائدةُ حذفِ المضاف إليه في قوله: ﴿قَبْلُ﴾:

موعظةُ هارونَ لقومه قبلَ رجوعِ موسى

حذفَ النَّظمُ الجليل المضافَ إليه من ظرف الزَّمان ﴿قَبْلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ طلبًا للإيجاز، فلمّا عُلِمَ التَّقديرُ، وظهر المعنى، كان الحذفُ أولى، والتَّقديرُ: (قال لهم ذلك قبل رجوعِ موسى)[2].

نُكتةُ النِّداء بـ (يا) وفائدتُه:

شحذُ الأسماعِ تهيئةٌ لِما يردُ من بليغِ الوعظِ

افتتحَ النَّظمُ الجليل الخطابَ بحرف النِّداء (يا) الدّالِّ على التَّنبيه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ تمهيدًا لمقام النَّصيحة[3]، فإنَّ النِّداءَ يقتضي الإقبالَ منَ السّامع فيطرق ذهنَه؛ دلالةً على خطورة شأن الخطابِ المسبوق بالنّداء وعلوِّ أهميَّته، وفي النّداء بـ: (يا) التي هي لنداء البعيد: تنبيهٌ على إدراكه غفلةَ قومِه وما فيها مِن بلاءٍ عظيمٍ.

غرضُ ندائِهم بوصفِ (قوم) دون (يا بني إسرائيل):

استلطافُ المدعوِّ أسلوبٌ قويمٌ في الدَّعوة

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالنِّداء بلفظِ القوم دون اللَّفظ الدّالِّ على أصلهم (بني إسرائيل) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 331.
(2) الخطيب، السراج المنير: 2/ 480.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 290.

هَـٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾؛ وذلك لأنَّه طلبَ استمالتَهم واستعطافَهم، فخاطبَهم بلفظ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ الذي يجمعُهم به بنسبتهم إليه، إظهارًا لحرصِه عليهم، وإشارةً إلى أنَّه يمحضُهم النُّصحَ، ويبتغي لهمُ الخيرَ، ويَنفي عن ظنِّهم أنَّه قد يكذبُ عليهم، أو يبتغي بهمُ الشَّرَّ والضَّلالَ.

بلاغةُ القصرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾ ونوعُه وغرضُه:

حصرَ النَّظمُ الجليلُ الأمرَ الذي هم فيه بأنَّه فتنةٌ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَـٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾، أي: ما هو إلّا فتنةٌ لكم، وليس ربًّا، وإنَّ ربَّكم الرّحمنُ الذي يرحمُكم في سائر الأحوال[1]، وهو قصرُ موصوفٍ على صفة، فقصرَ أمرَهم على كونِهم مفتونين، وهو قصرُ قلبٍ؛ لأنَّهم ظنّوا أنَّهم على حقٍّ، ولكنَّهم بالحقيقة في فتنةٍ واختبارٍ به، والغرضُ من حصر أمرِهم بذلك أن يجتمع فكرُهم ونظرُهم؛ ليَنتبهوا على ما هم فيه، أي: (قد اختُبِرتم في صحَّة إيمانِكم وصدْقكم فيه وثباتِكم عليه)[2]، ويُؤتى بالقصر لتقويةِ مضمونِ الكلام وتأكيدِه وتقريرِه في الذِّهن.

مواجهةُ الباطل بحقيقة حالِه منهجٌ أصيلٌ في الإصلاحِ

وإذا كان المخاطَبون مُنكرين لمضمون القصرِ بدليل ظنِّهم حقيَّتَهم وبطلانَ غيرهم، فكان القصرُ قصرَ قلبٍ؛ كان الظاهرُ أن يكون القصرُ بـ: (ما وإلا) على القاعدة التي قرَّرها البلاغيون، مِن أنَّ الخبر بالنّفي والإثباتِ يكون للأمر يُنكرُه المخاطَبُ، ويشكُّ فيه، وإنَّما وضع القرآنُ: ﴿إِنَّمَا﴾ موضعَ: (ما وإلا)؛ لبيان أنَّ هارون أدَّى هذا المعنى لهم في تلطُّف ولينٍ ورحمةٍ ورفقٍ وما جرى في هذا الطريق مِن المعنى؛ لأنَّ: ﴿إِنَّمَا﴾ ترِدُ في المعنى الذي لا يُنكره المخاطَب، ولا يجهلُه، ولا يدفع صحَّته، بل يكونُ عالمًا به مسلِّمًا به، أو لِما يُنزَّلُ هذه

سبيلُ الدَّعوة إلى الله تعالى الرّفقُ والموعظةُ الحسنةُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 290.

(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 331 - 332.

المنزلةَ، فلم يجمع عليهم هارونُ مشقَّةً على مشقَّة؛ فكونُهم في فتنةٍ مشقَّةٌ، ولو عبَّر بـ(ما وإلا)؛ لكان مشقَّةً أخرى.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿فُتِنتُم﴾ من حيث مادَّتُها وصيغتُها:

لا أشدَّ مِن اختبارٍ يقعُ في الاعتقادِ

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عن معنى الاختبار بلفظِ الفتنةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾، أي: (ابتُليتُم واختُبِرتم بالعجلِ، فإنَّ اللّٰه تعالى عرَّضكم للاختبارِ لمعرفة صحَّةِ إيمانِكم وصدقِكم فيه وثباتِكم عليه)[1].

وجيء به بالبناء للمفعول تفخيمًا لشأن الفاعل، وهو اللّٰه تعالى، فهو الذي يبتلي عبادَه، ويختبُرهم، كما أنَّ في حذف الفاعل مع معرفته إيجازًا في التَّعبير، وفيه أيضًا الاهتمامُ بالفتنة لذاتها لا بالنَّظرِ إلى كونها من معيَّنٍ، فالفتنة ذاتُ شأنٍ خطيرٍ لذاتها.

معنَى الباء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾:

علَّق النَّظمُ الجليلُ فعلَ الفتنة بحرف الجرّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾، وهو يدلُّ على الواسطة هنا، فيدلُّ على واسطة الاختبارِ وآلته، فالفتنةُ واقعةٌ بهذا "التَّمثال في إخراجه لكم على هذه الهيئةِ الخارقةِ للعادة"[2].

معنَى الواوِ في: ﴿وَإِنَّ﴾:

بعدَ بيانِ الضَّلالِ وجوبُ تبيينِ بديلِه وهو الحقُّ

عطفَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾ على الجملة في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾؛ فهي مشاركةٌ لها في الكلام الذي سيق النِّداءُ لأجله، فهي من ضِمن جوابِ النِّداء[3]، فلمّا أكَّد لهم أنَّهم فُتنوا بعبادة العجل؛ بيَّن لهم معبودَهم الحقَّ، وهو الرَّحمنُ ﷻ، فأرشدَهم إلى الحقِّ بعد أن زجرَهم عنِ الباطل[4].

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 379، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 331 - 332.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 332.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 410.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 37.

دلالةُ التَّوكيدِ بـ (إنّ) والجملةِ الاسميَّةِ:

رفـعُ الأوهـام بـتـأكـيـدِ صفة الرَّحمةِ في الإله الحقِّ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالجملة الاسميَّةِ المفتتَحةِ بحرف التَّأكيدِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ تأكيدًا لمضمون الخبر، وللدَّلالة على ثبوتِ المعنى، فهو حقيقةٌ منَ الحقائق الثّابتةِ لا يعتريها جدالٌ ولا خلافٌ، وإنَّما أكَّد الخبرَ لكونهم اعتقدوا خلافَه، فشأنُهم شأنُ المنكر لمضمونه، فأكَّد ردًّا على وهمِهم، ولَمَّا حصَل بجملة: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ تخليةُ ما في قلوبهم ونفوسهم مِمّا اعتراهم مِن حدثِ العجل؛ حلَّاها بجملة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، واستثمر التّخليةَ المهيّئةَ لتمكين ما يحلُّ محلَّ الذّاهبِ بها، فأكَّد مضمونَ الجملة بأكثرَ من مؤكِّدٍ؛ ليمكِّنَه في قلوبهم ونفوسِهم.

فائدةُ التَّعبيرِ بلفظِ الرُّبوبيَّة مضافًا إلى ضميرهم:

التَّذكيرُ بسابقِ الإحسانِ سبيلٌ لبلوغِ المقصدِ الرَّفيعِ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الرُّبوبيَّةِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ تذكيرًا لهم بسابق الرَّحمةِ والإحسانِ، أي: ربُّكم الذي ربّاكم، وأحسنَ إليكم بعد أن أخرجَكم منَ الموت إلى الحياة[1]، وذلك لتلينَ قلوبُهم لوعظه، ويثوبوا إلى رُشدهم وتركِ عبادة الوثنِ الذي صنعته يدُ السّامريِّ، فأضاف الرَّبَّ إلى ضمير المخاطَبين طلبًا لإيقاع الأثرِ البليغِ في نفوسهم.

فائدةُ إيثارِ اسمِ الرَّحمن:

لا أحـوَجَ من عاصٍ إلى رحمة ربِّه

خصَّ النَّظمُ الجليل ذكرَ اسم الرَّحمن دون غيره في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾، وأتى به بعد لفظِ الرُّبوبيَّة؛ "لأنَّه كان يُنبِّئهم بأنَّهم متى تابوا؛ قَبِلَ اللّهُ توبتَهم؛ لأنَّه هو الرَّحمنُ الرَّحيم، ومِن رحمته أن خلَّصهم من آفات فرعونَ"[2]، فالغايةُ

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 332.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 92.

من ذلك الرِّفقُ بهم واستمالتُهم للتَّوبة وتشويقُهم لها، والرّحمنُ عامٌّ الرّحمة والإنعام، فمِن شأنه أن يشملَهم؛ إذا رجعوا إليه.

معنَى الفاءِ في: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾:

اتِّباعُ النُّبوَّةِ مُترتِّبٌ على الإيمانِ بالله تعالى

أدخل النَّظمُ الجليلُ الفاء على فعل الأمرِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾؛ للدَّلالة على ترتيبِ ما بعدها على ما قبْلَها، فترتَّب الأمرُ بالاتِّباع على مضمون الجُملتَين السّابقتَين، أي: "إذا كان الأمرُ كذلك؛ فاتّبعوني في الثّبات على الدّين"[1].

دلالةُ الأمرِ بصيغةِ الاتِّباع:

لا يُتصوَّرُ إيمانٌ بلا جهدٍ وتكلُّفٍ للمُتابعةِ

عَبَّر النَّظمُ الجليل بفعل الأمر بصيغة الافتعال منَ الفعل (تبع) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى﴾؛ للدَّلالة على حثِّهم ببذل غايةِ جهدِهم في الرُّجوع إلى الله ونبْذِ عبادةِ العجل[2]، وذلك لِما في صيغة الافتعال من دلالةٍ على التَّكلُّف والاجتهاد؛ فمَن كان ربُّه الرحمنَ؛ فعَلَ ما في وسعِه وما يشقُّ عليه؛ حتى يرضيَه.

دلالةُ عطفِ طاعة الأمرِ على الاتِّباع:

طاعةُ الشَّريعة من تمام الإيمانِ بالنُّبوَّة

عطفَ النَّظمُ الجليلُ الأمرَ بالطّاعة على الأمرِ بالاتِّباع في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى﴾؛ وذلك لأنَّه رتَّب الطّاعةَ على الاتِّباع، فأمرَهم بمعرفة حقِّ النُّبوَّةِ منَ الاتِّباع والإذعان، ثم عطفَ عليه الأمرَ بالامتثال إلى الشَّريعة؛ لأنَّها متأخِّرةٌ عنِ النُّبوة ومترتِّبةٌ عليها[3]، وعطفُ: ﴿فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى﴾ على مجموع ما قبْلها - والذي منه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ - يُفْهِمُ أنَّ المُتَّبَعَ والمُطاعَ أمرُه في الحقيقة هو الله الرّبُّ الرحمنُ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 37.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 332.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 92.

دلالةُ الأمرِ في قوله: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بفعل الأمر بالطّاعة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾؛ للدَّلالة على وجوب طاعة أمرِه باعتباره نبيًّا؛ لأنَّه صادرٌ من أعلى رُتبةٍ إلى الأدنى، فذكَّرهم بوجوب الطّاعةِ بعد ذكر مُقتضيها، وهو اتِّباعُ النُّبوَّة.

الإيمانُ بالنُّبوَّة مُلزمٌ للطّاعة

نُكتةُ إسنادِ الطّاعة إلى الأمرِ دون نفسِه:

آثر النَّظمُ الكريمُ إسنادَ الطّاعة إلى الأمر دون طاعته نفسِه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾، فلم يُقَل: (وأطيعوني)؛ وذلك لأنَّ الطّاعة في الدّين ليست للشَّخص، بل للشَّريعة والتَّعاليم، فلا تعتبرُ بطاعة الشَّخص لذاتِه، بل لِما أُمِرَ به من أحكام الشَّريعةِ التي يدعو إليها، وإنَّما خاطبَهم بذلك تخفيفًا عليهم من وقْعِ الأمر، فإنَّ الإنسانَ يأنفُ من طاعة إنسانٍ آخرَ في الغالب، فأخبرهم ضِمنًا أنَّهم إذ يطيعونَه؛ فإنَّهم لا يُطيعون شخصَه، بلِ الأمرَ الشَّرعيَّ، وفي ذلك أيضًا مراعاةٌ لحالاتهم النّفسيَّةِ والقلبيَّةِ الضّعيفة؛ إذ هم مالوا إلى عبادة هذا العجلِ، فكيف تكون نفوسُهم وقلوبُهم ضعفًا وخِفَّةً؟ وهذا ذكاءٌ مِنَ الدّاعي.

الأمـــرُ بطاعة الشَّريعةِ أوقعُ في القَبول منَ الأمـــر بطاعةِ الشَّخصِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفتنة والابتلاء:

الابْتِلاء: في الأصْل، التَّكليفُ بالأمر الشّاقّ[1]، ولا يكونُ إلّا بتحميل المكارِه[2]، والفتنةُ ما يتَبَيَّنُ بها حالُ الإنْسان من الخَيْر والشَّر، يُقال: فتنت الذَّهَبَ بالنّار، لتعلم أنّه خالصٌ أو مَشوب[3]، فهي أشدُّ الاختبار؛ لأنَّها مشتقَّةٌ مِنَ الحرقِ بالنّار، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ

الفتنةُ أخصُّ منَ الابتلاء في الدَّلالةِ على الاختبار؛ فهي أشدُّ الابتلاءِ

(1) الكفوي، الكليات، ص: 34.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 216.
(3) الكفوي، الكليات، ص: 692.

عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ [الذاريات: 13][1]، وإنَّما آثرَ أن يعبِّر عنِ الاختبار بالفتنة في هذا الموضع؛ لأنَّ فتنةَ النّاس بتعريضِهم للابتلاء بشأن الإيمانِ والاعتقادِ أمرٌ بالغُ الشِّدَّة والخطورة، لِما له من أثرٍ خطيرٍ في الحكمِ على مصير العبدِ.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 217.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»